عمرة بنت سعد بن عبدالله البجلي
سيرتها في كتب الأمثال والأنساب

أ. م. د. أنمار نزار عبد اللطيف الحديثي
جامعة الأنبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

احتلت شخصيات النساء في تأريخ العرب قبل الإسلام شهرة كبيرة ومكانة عالية لم يغفل المؤرخون والكتّاب سيرهم، وكثيرة هي الشخصيات النسائية التي اكتسبت منزلة رفيعة وكنّ شريفات منزلة في قومهم وذات عزوة ونسب ذاع صيتهم بين العرب، ومن هذه الشخصيات النسائية عمرة بن سعد بن عبدالله البجلية اشتهر اسمها لدى مؤرخي وكتّاب العرب المسلمين ونسابيهم ضمن شخصيات تباهوا بذكر أخبارهم، وعلى الرغم من ندرة التفاصيل عن هذه الشخصية إلا أنَّها تمتّعت بكونها أمًا لبطون قبائل كبيرة ومشهورة بلغت مكانة ورفعة في تأريخ العرب قبل الإسلام زادت أمهم ـ عمرة ـ شرفًا وعدّةً. وتسابق أشراف القوم للزواج منها؛ لمكانتها بين قبيلتها على الرغم من الشروط التي كانت تضعها عمرة للزواج وهذه دلالة واضحة إلى ما وصلت إليه عمرة من منزلة حفرت لها ذاكرة التأريخ بصمة فيه رسمت صورة منها عن نساء العرب تعطي الانطباع لمكانة المرأة وما كانت تتمتّع فيه من حرية ورأي قد تكون ضمن نطاق ضيق انحصر في نساء قلّة لكن على الأقل لم تخلوا منهم.

الكلمات المفتاحية: أم خارجة، الزواج، النساء، العصمة، الحضر.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 9, Issue 29, Aug 2022
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

Amrah bint Saad bin Abdullah Al-begely: her life in proverbs and genealogy books

Anmar Nazar Abdulateef Alhadithy
University of Anbar
College of Education for Humanities

ed.anmar_nazar@uoanbar.edu.iq

Abstract

Women occupied high prestige and wide fame in Arab history before Islam, which historians and biographers didn't ignore. A lot of women figures gained high social prestige and were of noble descent among their people in the Arab history. One of these women figures was Amrah bint Saad bin Abdullah Albgeliah, her name was well known among historians and Arab muslim writers of family histories, among other figures they were proud of writing their history. Despite of the rare details about this historical figure, she enjoyed being a mother of large and famous tribes that reached high prestige in Arab history before Islam. This gained their mother, Amrah, great honour. Many noble figures raced to marry her because of her prestige in her tribe, despite of the difficult terms which Amrah had put for marriage. This is a clear evidence of the high prestige that Amrah had reached which ingraved a finger print in the memory of history, and painted a picture of Arab women that gives an impression of women's place and the freedom and opinion they used to enjoy, which maybe within a narrow scale of few women but at least it was there.

Keywords: Am kharija. Marriage. Woman. Infallibility. Urban.

المقدمة:

وردت اخبار النساء اللاتي عشن قبل الإسلام في مصادر مختلفة التوجّه والمنهج. يتقدمها الضبي (ت نحو:١٦٨هـ) الذي أورد معظم أخبار أم خارجة في روايته[١]. ويبدو أنَّ المصادر اللاحقة اعتمدت عليه أو أنَّهم جميعًا اعتمدوا على مصدر لم يصل إلينا خبره.[٢]

عانت الروايات عن تلك النسوة من نواقص كثيرة، ولم تنأى عن تأثير الجو العام الذي صنعه الإسلام وقيمه العقيدية والثقافية. فقدّموها مقتضبةً تخلو من الإطار العام الذي ترشحت عن قيمه وتقاليده، وفي المقدمة من تلك القيم والتقاليد ما يتعلق بنظام الزواج، (مثلًا: مَنْ المتقدّم للزواج، الرجل أم المرأة؟)، لكي نفهم مَنْ الذي يمارس حقّ الفراق حينما يقع، ويظهر هذا النقص في استعارة مصطلح (العصمة) في الحديث عن الافتراق. فنظام الزواج يفسّر لنا ظاهرة تعدّد الرجال، أو تعدّد النساء. والغريب أنَّ المدوّنين الأُول جهلوا أو أهملوا هذه المسألة فذهبوا إلى تفسير يفتقد للمنطق العلمي، وينطلق من مسألة الاشتهاء والشذوذ. وتهدف الدراسة إلى سدّ النقص في الروايات وإعطاء صورة أقرب إلى الواقع بدراسة شخصية عمرة بن سعد مثالًا لواحدة من هذه الشخصيات التي ظلمتها الروايات.

وقسّمنا البحث على أربعة مباحث. تحدثنا في المبحث الأول عن الحياة الشخصية لعمرة بنت سعد اسمها، نسبها، حياتها. أما المبحث الثاني فتضمّن زيجاتها المتعددة من الرجال وشرح آليات الزواج وصفات ومكانة الرجال الذين تقدّموا للزواج منها. ولننتقل إلى المبحث الثالث والذي تضمّن ابناءها التي أنجبتهم من زيجاتها ومكانة هؤلاء الابناء وأهميتهم في المجتمع القبلي في تأريخ العرب القديم. ولنختم في المبحث الرابع الروايات التي ذهبت مثلًا في حقّ هذه الشخصية من نساء العرب. وعرضنا في نهاية البحث نظرة تحليلية تمثّل وجهة نظرنا المتواضعة في إنصاف شخصية نسائية معروفة مثل شخصية عمرة بن سعد البجلية.

وشكّلت كتب الأمثال وكتب الأنساب أهم مصادر البحث؛ لأنَّ الروايات عن أمّ خارجة جاءت معظمها في كتب الأمثال مثل: الضبي، والعسكري، والميداني في الأساس واستعنّا بكتب الأنساب؛ للتعريف بأزواجها وابنائها التي ذكرتهم كتب الأمثال، وكان كتاب ابن الكلبي جمهرة النسب ونسب معد واليمن الكبير فضلًا عن كتاب ابن حزم جمهرة أنساب العرب خير معين؛ لما تحويه من معلومات مهمة عن أزواج عمرة وابنائها، وهناك كتب أثرت البحث بمادة علمية مهمة مثل: كتاب المحبر لابن حبيب البغدادي، وكتب معاجم اللغة للزبيدي وابن منظور.

وقد واجهتنا صعوبات في كتابة البحث وأهمها: ندرة المعلومات عن شخصية عمرة بن سعد في المصادر والمراجع التي ذكرتها؛ لأنَّ الروايات حدّدت إطارها ضمن المرويات التي

ذهبت مثلًا عند العرب عن عمرة بن سعد ولم تتوسع في المعلومات عن شخصيتها أو حياتها الاجتماعية بل لم تهتم بأيّ معلومة تفيد في اتساع دائرة البحث عنها ممّا شكّل لنا تحديًا في استيعاب الإشارات في كتب الأنساب والمعاجم التي أسهمت في توفير بعض المعلومات والإشارات لتكمل معلومات البحث ليخرج بشكله الأكاديمي المعول عليه.

المبحث الأول: السيرة الشخصية:

عمرة بنت سعد بن عبدالله البجلية:

تنبّه المؤرخون إلى شخصيات نسوية احتلت في تأريخ العرب قبل الإسلام شهرة كبيرة ومكانة عالية فلم يغفلوا ذكرهنّ، وكثيرة هي الشخصيات النسائية التي اكتسبت تلك المنزلة الرفيعة، وكنّ شريفاتٌ في أقوامهن، وذوات عزوة ونسب ذاع صيته بين العرب. ومن هذه الشخصيات النسائية عمرة بنت سعد بن عبدالله البجلية اشتهر اسمها لدى مؤرخي وكُتّاب العرب المسلمين ونسابتهم ضمن شخصيات تباهوا بذكر أخبارها، وتسابق أشراف القوم للزواج منها؛ بسبب مكانتها في قبيلتها، وعلى الرغم من ندرة التفاصيل عن هذه الشخصية إلا أنَّ الواضح أنَّها تمتّعت بكونها أمًا لبطون قبائل كبيرة ومشهورة بلغت مكانة ورفعة في تأريخ العرب قبل الإسلام زادت أمهم ـ عمرة ـ شرفًا وعدّةً، على الرغم من الشروط التي كانت تضعها للزواج، وهي دلالة واضحة على ما وصلت إليه من منزلة تركت لها بصمة في ذاكرة التأريخ، ورسمت صورة منها عن نساء العرب وعن مكانتهنّ وما كُنَّ يتمتعن به من حرية ورأي.

اسمها ونسبها:

تبدأ الرواية باسم أمّ خارجة، عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قذاذ بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار، من بجيلة. من الجيل التاسع في القبيلة بحسب عدد الأجيال التي أوردتها النسابة[٣]. وهي إحدى القبائل اليمنية في عسير.

حياتها:

وُصِفت عمرة بأنَّها من أجمل النساء في زمانها[٤]، ولشهرة نسبها[٥]، وعلو حسبها[٦]، تسابق الخاطبون عليها، وتعدّد أزواجها، و كَثُرَ إنجابها[٧]، فكانت ذات شرف وقدر[٨]. لقّبت بأمّ عدس[٩]، من دون معرفة سبب هذا اللقب، وتَكنَّت بأمّ خارجة وهو ابنها البكر، الذي أخذت كنيتها منه[١٠]. تزوجت أول أزواجها من قبيلة أياد[١١]، ولم تذكر المصادر اسمه، ولم تنجب منه، وفي الروايات ما يشير إلى مشكلة مع زوجها غير معروفة، فلم تستطع الطلاق منه إلا بعد تدخّل ابن أخيها خلف بن دعج بن سعد بن سحمة بن سعد بن عبدالله بن قداد الذي فرّق بينهما[١٢].

المبحث الثاني: زيجات عمرة بنت سعد:

تعدّد أزواج عمرة حتى قيل: إنَّها تزوجت ما يقرب من (٤١-٤٢) رجلًا[١٣]. وعلى هذا الرقم وصفتها بعض الروايات بأنَّها شبقة تحبّ تذوّق الرجال وتطلقهم بعدما تجرّبهم. وأرى في هذه الرواية مبالغة شديدة، فليس من عادات النساء في قبائل العرب التي لها حظوة في المجتمع ومكانة مرموقة في قبيلتها أَنْ تخالف التقاليد والعرف المتبع و تنحرف عنه. كذلك الحجة التي

بنت عليها الروايات قصتها ـ حبّ عمرة للزواج ـ تتذرع بأنَّ العصمة كانت بيد عمرة متى ما أرادت الطلاق تطلّق[١٤]. أجد فيها خللًا بل أنَّ فيها تجنيًا ولا تعطي الانطباع الصحيح عن الحياة الاجتماعية (الزوجية) لعمرة بنت سعد. فممّا وصل إلينا من روايات نجد أنَّها ليست المرأة الوحيدة التي تمتّعت بهذه الخصوصية، فقد أشار ابن حبيب إلى مشاطرة عدد من النساء مثل هذا الامتياز الذي حظيت به عمرة، ومنهم سلمى بنت عمرو بن زيد، والدة عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فضلًا عن نساء أخريات كان لديهم مثل هذه الخصوصية[١٥]، ومن استقراء النصوص أرى أنَّ قصة شرط أنْ تكون العصمة بيد النساء أساسًا لزواجهنّ كان معروفًا لدى العرب و مقبولا من الرجال الذين كانت شهرتهم سابقة ونسبهم مشهور، كما سنرى من استعراض أزواجها الذين كانوا سادات قومهم وآباء لبطون كبيرة لها مكانة اجتماعية في شبه الجزيرة، ولم يبالوا كون العصمة بيد عمرة أم لا بل تقدّموا لها، وتسابق عليها أشراف العرب.

تزوجت عمرة بعد زوجها الثاني بكر بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، ولا نعلم عن حياتهما شيئًا سوى أنَّها ولدت منه ابنها خارجة، وقد شكّك البعض به[١٦]، والمشهور أنَّه بطن ضخم من بطون العرب[١٧].

ثم تزوجت بعد ذلك عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقيا[١٨]. ويكتسب اسمه أهمية خاصة في الأحداث التاريخية لمكة قبل الإسلام فهو ابن لحي من خزاعة إحدى أهم وأكبر القبائل الأزدية المشهورة التي هاجرت من اليمن إلى شمال شبه الجزيرة، وكان حارثة قد آثر البقاء في مكة وتخزع هو وقومه فيها وهو ما خالف به قبائل الأزد التي استمرت في هجرتها إلى شمال شبه الجزيرة العربية، ومن هذه الحادثة أخذت قبيلة خزاعة اسمها وعمرو الذي خلّف جدّه حارثة وأباه ربيعة (لحي) في قيادة خزاعة استطاع السيطرة على مكة بحسب الروايات التأريخية ليكتسب شهرة كونه أحد قادتها المشهورين وصاحب التنظيمات الدينية، والاقتصادية، والسياسية فيها، لتصبح خزاعة سيدة الموقف على حساب قبيلة جرهم في قيادة مكة[١٩].

تقدّم لزواجها بعد عمرو، الزوج الرابع بكر بن عبد مناة بن كنانة بطن كبير من بطون كنانة[٢٠]، ثم تزوجها بعد ذلك مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر الزوج الخامس، و أمه بنت ذي الحوضين وهو الحسحاس بن غسان[٢١]. وخَلَفَ عليها الزوج السادس جشم بن مالك بن كعب بن القين، وهو النعمان بن جسر بن شيع اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة[٢٢]. تقدّم لها بعد جشم زوجها السابع عمرو بن لحيون بن تام مناة بن شبيب بن دريم بن القين بن اهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة[٢٣]، ثم تزوجها عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر

بن نزار بن معد بن عدنان، أمه سلمى بنت كعب بن عمرو[٢٤]، وهو زوجها الثامن والأخير، رقمًا وليس تسلسلاً؛ لأنَّ الروايات اختلفت في تسلسل مَنْ تزوجها[٢٥]، ولعمرو بن تميم قصة عند ابن الكلبي إذ ذكر بأنَّ امرأة تميم جاءها المخاض فخرج تميم يتفاءل فإذا هو بضبع تجر كاهل جزور فقال: اعشي به رثية تأوي إلى كاهل شديد، فرجع وقد ولدت غلامًا فسمَاه عمرًا[٢٦]. وعدَّ ابن حزم[٢٧] بني تميم من أكبر قواعد العرب.

وأوردت الروايات اسماءً لثمانية رجال تزوجوا عمرة البجلية. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أنَّ عمرها كان صغيرًا حين تزوجت أول زواجها فأجد من الطبيعي هذا العدد من الرجال الذين ارتبطت بهم في غياب نظام التحريم، فهم لم يصلوا إلى عشرة رجال فكيف بالروايات التي زوجتها من نيف وأربعين رجلاً، ولنفترض جدلاً سقوط اسم أو اسمين من ذاكرة الرواة، فهذا لا يبرّر تصديق الرواية. على ما يبدو أنَّ المبالغة بعدد أزواجها جاءت من زواجها ثمانية رجال وكلّهم من الاسماء المشهورة في القبائل جعلت صفة تعدّد الأزواج وكثرة الطلاق لصيقة بها، وأعطت الانطباع أنَّ عمرة بنت سعد تحبّ تذوّق الرجال و الانفصال عنهم متى ما جربتهم، وعلى الرغم من مشاركة عددٍ من نساء العرب لعمرة في هذه الصفة، غير أنَّ كون أزواجها الأكثر شهرة بين العرب أكسبتها شهرة أكبر من قريناتها.

المبحث الثالث: ابناؤها:

قال البلاذري في روايته عن عمرة:" قد ولدت في العرب"[٢٨] ويقصد بحسب رأيي في عامة قبائل العرب لكثرتهم[٢٩]. وفي رواية أُخرى عن المبرد ولَدَت عمرة: "في العرب في نيف وعشرين حيًا من آباء متفرقين"[٣٠]. وأولادها بحسب آبائهم هم:

١. خارجة بن بكر بن يشكر بن عدوان، أول ابنائها وبه كُنيَت وهو بكرها بحسب معظم الروايات[٣١]. شكّك فيه ابن منظور إذ قال:" ولا يُعلم ممّن هو ويقال إنَّه خارجة بن بكر بن يشكر"[٣٢]. ورواية ابن الكلبي عن خارجة وأخيه يثيعًا أنَّهم كانا مع ثمالة بالحجاز[٣٣]. وإنْ صحّت الرواية يعني: أنَّ عَمرة أنجبت لبكر بن يشكر بطنين.
٢. عمرو بن ربيعة، ولدت له سعد وهو بطن مشهور وشهرته في ابنائه الحيا وهو عامر، والمصطلق وهو جذيمة[٣٤].
٣. أنجبت لبكر بن عبد مناة ثلاثة ابناء، ليث بطن، والديل بطن أما الحارث[٣٥]، فدرج بحسب رواية ابن الكلبي[٣٦].
٤. ولدت غاضرة وعمرًا لمالك بن ثعلبة[٣٧].

٥. ولدت عرانية لجشم بن مالك، انفرد ابن حزم بتسميته عرابة[٣٨]، ووصفه الميداني بالبطن الضخم[٣٩]، واختلفت الروايات حول عرانية فأشار ابن الكلبي إلى وائل بن جشم كونه زوج عمرة وليس جشم[٤٠] وأنَّ عرانية بن وائل بن جشم بطن كبير تتفرع منه بطون وقبائل[٤١]، أما عرانية بن جشم فلم أجد له ذكرًا إلا عند الميداني ومَنْ أخذ عنه.

٦. أنجبت لعامر بن عمرو بن لحيون ستة أولاد[٤٢] هم كلّ من: بَهْرَاء، وثعلبة، وهِلاَل، وبيان، ولخوة، والعنبر. وقيل في العنبر: إنَّه ذهب مع أمه إلى عمرو بن تميم فانتسب إليه[٤٣].

٧. أنجبت أسيد والهجيم لعمرو بن تميم[٤٤].

٨. وردت إشارة لابن الكلبي في كتاب نسب معد واليمن الكبير، في معرض حديثه عن أخوة لأولاد عمرو بن لحيون من أمهم عمرة بنت سعد، وهما: شيبان وعامر ابنا ذهل بن بكر بن وائل[٤٥]. وهي رواية تفترض زوجًا آخر وابنين إضافيين.

وتبدو المبالغة في عدد الأبناء الذين أنجبتهم عمرة مقبولةً إذا ما قارناها برواية عدد أزواجها[٤٦]. فرقم نيف وعشرين ولدًا لثمانية أزواج يعدّ رقمًا طبيعيًا كمعدل إنجاب ثلاث بطون لكلّ زوجٍ على مدى عام أو عامين على الأقل بين بطن وأخرى، وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أنَّ عمرها صغير حينما تزوجت افتراضًا (١٥) سنة يكون عمرها في آخر بطنٍ لها ٤١ ـ ٤٢ سنة ، وقد يكون الإنجاب سنويًا فيكون عمرها في آخر بطنٍ ٣٧ سنة، وثمة اعتقاد بأنَّ المرأة التي تستمر بالإنجاب دون انقطاع تستطيع الإنجاب في عمر الأربعين.

وتشير إحصائية إلى ابناء عمرة جميعًا بعيدًا عن اختلاف الروايات أو ضعفها بأنَّ عدد أولادها تسعة عشر ولدًا فقط، ولم يصلوا إلى العشرين وهو رقم طبيعي، وحتى لو كانت تنجب بين بعض البطون وأخرى سنتين سيكون آخر ولدٍ لعمرة أنجب في عمرها ٤٠ ، وقد تجده الأبحاث الطبية رقمًا طبيعيًا على الرغم من المخاطر المصحوبة للحمل في هذه السن، مع الوعي أنَّ العمر لآخر بطنٍ ممكن أنْ يستقر على ٣٤ عامًا إذا سلمنا بالحمل سنة بعد أخرى فلنا أنْ نتصور طبيعة المبالغة التي ألصقت بعمرة بنت سعد من حيث أزواجها أو ابنائها. فلو افترضنا جدلاً أنَّ رقم اثنان وأربعون رجلاً صحيحًا، وأنَّها بقيت على ذمّة بعضهم وذكرت الروايات ٦ سنوات على أقل تقدير، فسيكون من الصعب ذلك؛ لأنَّ عمرها سيتجاوز الحدّ الطبيعي وهو ما لم تقل به الروايات.

المبحث الرابع: عمرة بنت سعد في الأمثال العربية:

أورد الضبي مثلين قيلت في عمرة بنت سعد نستعرضها بشيءٍ من التفصيل:

المثل الأول:

" أسرع من نكاح أُمّ خارجة " يصف عمرة بسرعة الزواج والطلاق كما يحلوا لها؛ لأنَّ العصمة بيدها، ولكثرة مَنْ تزوجت من الرجال، وسرعة زيجاتها التي نجهل آليتها، فذهبت مثلاً في العرب. فكان الخاطبُ يأتيها "فيقول: خِطْبٌ، فتقول نِكْحٌ، فيقول: انزلي، فتقول: أنِخْ"[٤٧] ويتمّ الزواج وأوردت رواية عن السيد الحميري خرج يومًا سكرانًا، فلقي بنت فجاءة بن عمرو بن قطري من الخوارج، وكانت حسناء، فأوقفها وأنشد من شعره، فأعجب كلّ واحدٍ منهما صاحبه ثم خطبها، فقالت: كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق؟ قال: يكون كنكاح أم خارجة، قيل لها: خطب، قالت: نكح، فاستضحكت وقالت: ننظر في هذا[٤٨]. عكست هذه الرواية ربّما عن دون قصد الفرق بين آليتين للزواج إحداها سبقت الإسلام والأخرى حدثت فيه. ومثل هذه في تراثنا الكثير.

المثل الثاني:

قال الضبي عن أُمّ خارجة: "وزعموا أنَّ بعض ولدها كان يسوق بها يومًا فرفع لهم راكب، فقالت: ما هذا؟ فقال ابنها: إخاله خاطبًا، فقالت: يا بني هل تخاف أنْ يعجلنا إنْ نحل، ما له ال وغل، فصار مثلًا"[٤٩]. وتوحي الرواية بمشهد فيه امرأةً تركب جملًا يقوده ابنها، وشخص قادم نحوهما. يتحرك المشهد حينما استفسرت من ابنها عمّن يكون وعن مقصده فيجيب ابنها قائلاً:" أخاله خاطبًا" فقالت قولتها التي أصبحت مثلًا. واختلفت الروايات في حركات ومعاني مفردات المثل تبعًا لتلك الحركات. الأمر الذي يجعل الخروج باستنتاجٍ منطقيّ أمرًا صعبًا إنْ لم يكن مستحيلًا.

نظرة تحليلية:

لم يصل إلينا ما يمكن تسميته بالعيب الاجتماعي في اقتران المرأة بأكثر من رجل في حال عدم وجود نظام تحريم أو تحديد قبل الإسلام، ولم تكن عمرة الوحيدة التي مارست هذا الامتياز فابن حبيب أفرد للمتزوجات بأكثر من رجلٍ بابًا في كتابه المحبر كان نصيب مارية بنت الجعيد بن صبرة بن الديل بن شن بن أفصي بن عبد القيس حُصة الأسد في عدد مَنْ تزوجتهم إذ بلغ عشرة رجال[٥٠]، كذلك ذكرت الروايات ست نساء إضافة إلى عمرة بنت سعد، وكانت العصمة بيدهم؛ للمكانة التي كانوا يتمتعون بها في قبائلهم[٥١]، ولو سلمنا بأنَّ الرواة غير مطالبين بإحصاء نساء العرب جميع اللاتي تمتعن بهذا الامتياز فنستطيع القول: إنّها ميزة اختصّت بها نساء العرب، يضاف لها ميزة أُخرى تمتعن بها النساء العربيات دونًا عن نساء الشعوب الأُخرى

في حقّها بطلب الطلاق سواء كان ذلك على البدل أم لم يكن، ففي الجاهلية كانت بعض نساء أهل المدر في بيوت الشعر إذا أردنَ طلاق الرجل حولت المرأة خبائها إلى جهة معاكسة فيعرف زوجها أنَّها لا تريده بمعنى: طلقته، فيتركها[٥٢]، أما نساء الحضر ومنهم عمرة بنت سعد، فكنّ لا يعالجنَّ للرجل طعامه في الصباح كدلالة على الإعلام بالتطليق فيتركها زوجها[٥٣]. ومن النساء اللاتي تمتعن بحق التطليق فضلاً عن عمرة بنت سعد، سلمى بنت عمرو بن زيد أم عبد المطلب بن هاشم وهي من بني عدي بن النجار، كانت لا تتزوج إلا وأمرها بيدها فإذا كرهت من زوجها شيئًا تركته[٥٤]. ومارية بنت الجعيد العبدية، وعاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج السلمية، وفاطمة بنت الخرشب الأنمارية، والسوداء العنزية الهزانية، وماوية بنت عفزر التي طلقت زوجها حاتم الطائي لمّا تخرّق في كرمه وضاقت به.[٥٥]

تمتعت عمرة بنت سعد باستقرارٍ في حياتها الزوجية وكان سوء علاقتها بزوجها الاياديّ[٥٦] سببًا في تمسكها بأنْ يكون حقّ الطلاق بيدها. فهي لم تخرق النظام الاجتماعي القبلي، وضمنت استقرار حياتها مع أزواجها عدّة سنوات لا كما يُشاع بأنَّها تتزوج وتطلق كما يحلو لها، فباستثناء عمرو بن لحي، وجشم بن مالك اللذين أنجبت لكلّ منهما بطنًا، نراها تستقر عند أزواجها ما بين ثلاث إلى ست أو سبع سنين على افتراض حمل البطن كلّ سنةٍ وهو قد يكون مستحيلاً فمثلاً: عمرو بن لحيون الذي أنجبت له ستة أولاد قد تكون بقت على ذمته عشر سنوات أو أكثر على افتراض أنَّ هناك بين حملها سنوات راحة كأنْ يكون بين سنة وأخرى لذا لنا أنْ نفترض مدّة عشر سنوات كمدة محتملة عاشتها عمرة بنت سعد مع عمرو بن لحيون. نعم قد يتبادر للذهن أنَّ كثرة أزواجها يعدّ سابقة عند نساء العرب وربّما يرجع إلى كونها تتمتع بمكانة في قومها جعلها لا تتحمل ممارسات بعض مَنْ تزوجتهم رافضةً مثلاً الضرة؛ كونها عزيزة في قومها، أو ترفض بعض عادات الأزواج في المعاملة لذا نجد أنَّها ترفض أنْ تعالج لهم طعام الفطور وهي بيدها العصمة فيعرف مَنْ هي على ذمته بأنَّها أعرضت عنه فيطلقها وهي عادة معروفة في العرف القبلي حتى لو كانت على نطاق ضيق.

الاستنتاجات

في ختام البحث وممّا استعرضناه من روايات نستنتج الآتي:

١) تزوجت عمرة بن سعد عددًا من الرجال كانوا إما سادة في قومهم، أو يرجع نسبهم إلى قبائل كبيرة ومشهورة كما في غالبية أزواجها.

٢) لم تكن عمرة بنت سعد الوحيدة التي تزوجت أكثر من رجل بل هناك مَنْ شاركنها في ذلك وتفوقن عليها بعدد الرجال الذين تزوجوا منهم.

٣) تمتعت عمرة –إضافة إلى نساء عربيات– بأنْ تكون العصمة بيدهن وهي وإنْ كانت عادة غريبة في تأريخ العرب قبل الإسلام إلا أنَّها ليست فريدة.

٤) كانت للنساء طريقة متحضرة في طلاق أزواجهن وهي عدم معالجة طعام الفطور للزوج إشعارًا له بالطلاق.

٥) هناك مبالغة في عدد مَنْ تزوّج منها وكذلك عدد أولادها.

٦) معظم مَنْ أنجبتهم أصبحوا بطونًا مشهورةً في قبائل العرب لذا وصفت بأنَّها أنجبت في عامة قبائل العرب.

٧) احتلَّت لها ذكرًا في الأمثال العربية المشهورة.

٨) على الرغم من وصف عمرة بأنَّها شبقة تحبّ تذوّق الرجال وتطليقهم متى شاءت إلا أنّنا لم نجد قيامها بأيّ عملٍ أخلّ بنظام القبيلة أو شذّ عن عادات العرب وتقاليدهم لا بل نجد أنَّ من عادات العرب أنْ لا تبقى المرأة من دون زوج.

الهوامش

References

(١) الضبي: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم (ت:١٦٨هـ/٧٨٤م)، أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، ط١، (بيروت، ١٩٨١)، ص٥٨.

(٢) البغدادي: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو (ت:٢٤٥هـ/٨٥٩م)، المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، بد. ت)، ص٣٩٨؛ العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: نحو ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، جمهرة الامثال، دار الفكر، (بيروت، بد. ت)، ٥٢٩/١؛ الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت: ٥١٨هـ/١١٢٤مـ)، مجمع الامثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، (بيروت، بد. ت)، ٣٤٨/١.

(٣) ابن الكلبي: ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب(ت:٢٠٤هـ/٨١٩م)، جمهرة النسب، تحقيق: محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربية، ط٢، (دمشق، ١٩٩٠)، ١٩٣/١-١٩٤، ٢٥٨، ٣٦٣. يضع تسلسل الاجيال زمن عمرة في الجيل التاسع الذي عاش في زمن افتراضي بين القرن الرابع والقرن الخامس للميلاد. تمَّ حساب الاجيال بين عمرة والصحابي جرير بن عبدالله البجلي اول مسلمي القبيلة، وعلى افتراض الجيل٢٠-٢٥ سنة.

(٤) الضبي، امثال العرب، ص٥٨.

(٥) قبيلة بجيلة: هم بنو أنمار بن أراش بن كهلان، بطن عظيم ينتسب الى أمهم بجيلة من الفرع القحطاني. كانت بلادهم مع إخوتهم خثعم في سروات اليمن والحجاز الى تبالة. كحالة: عمر رضا محمد، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، ط٧، (بيروت، ١٩٩٤)، ٦٣/١.

(٦) البغدادي، المحبر، ص٣٩٨.

(٧) البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٥م)، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، ط١، (بيروت، ١٩٧١م)، ص٥٠١.

(٨) البغدادي، المحبر، ص٣٩٨.

(٩) الضبي، أمثال العرب، ص٥٨؛ ابن الكلبي، جمهرة النسب، ٣٦٣/١.

(١٠) الميداني، مجمع الامثال،١/ ٣٤٨.

(١١) كان ابا عذرها هكذا وردت. الضبي، امثال العرب، ص٥٨. ومعنى ابا عذرها أي اول من دخل عليها بمعنى زوجها الاول. الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تحقيق: مصطفى الحجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، (الكويت، ١٩٧٣)، ٥٥٠/١٢.

(١٢) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: الدكتور ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، (بيروت: ١٩٨٨)، ٣٥٤/١.

(١٣) العسكري، جمهرة الامثال، ٥٢٩/١؛ الميداني، مجمع الامثال، ٣٤٨/١.

(١٤) البغدادي، المحبر، ص٣٩٨.

[١٥] البغدادي، المحبر، ص٣٩٨. ذكر اثنين من النساء اضافة الى عمرة وسلمى، وأحصى الحوفي ثلاث اخريات ليصبح عدد جميعهن سبع نساء. الحوفي: أحمد محمد، المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، ط٢، (القاهرة، ١٩٦٣)، ص٢٦٨.

[١٦] ابن منظور: محمد بن مكرم بن على(ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، ط٣، (بيروت: ١٤١١هـ)، ٢٥٤/٢.

[١٧] الميداني، مجمع الامثال، ٣٤٨/١؛ ابن الكلبي، جمهرة النسب، ١٨٢/٢.

[١٨] ابن الكلبي، نسب، ٤٤٠/١؛ ابن حزم: محمد بن علي بن سعيد الاندلسي(ت:٤٥٦/١٠٦٣م)، جمهرة انساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، (مصر، ١٩٤٨)، ص٢٢٨.

[١٩] الحديثي: انمار نزار عبداللطيف، الديانة الوضعية عند العرب قبل الاسلام، اطروحة دكتوراه، غير منشورة (كلية الآداب ـ جامعة بغداد، ٢٠٠٣)، ص١٤٠ وما بعدها.

[٢٠] ابن الكلبي، نسب، ٧١٧/٢؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص١٧٠. ابعدهم قصي بن كلاب اثناء محاولته السيطرة على مكة بمساعدة اخيه من امه رزاح بن ربيعة بن حرام العذري. الحديثي، الديانة الوضعية عند العرب قبل الاسلام، ص١٥٣.

[٢١] ابن الكلبي، جمهرة النسب،٢٣٩/١.

[٢٢] ابن الكلبي، جمهرة النسب، ٦٤٧/٢؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٤٢٤.

[٢٣] ابن الكلبي، جمهرة النسب، ١٩٤/١؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٤١٣. اطلق ابن حزم يام على تام واهون على اهود.

[٢٤] ابن الكلبي، جمهرة النسب، ٢٧١،٢٦٣/١.

[٢٥] على سبيل المثال. الميداني، مجمع الامثال،٣٤٨/١؛ الضبي، امثال العرب، ص٥٨؛ ابن الكلبي، نسب، ١/ ٣٥٤؛ البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود(ت:٢٧٩هـ/٨٩٢م)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، ط١، (بيروت، ١٩٩٦)، ٨٤/١١ ـ٨٥.

[٢٦]ابن الكلبي، جمهرة النسب، ٣٨٣/١.أعشى تعني كثير الشعر ورثية بمعنى الجمع، أي تجتمع اليه.

[٢٧] جمهرة النسب، ص١٩٦.

[٢٨] جمل من انساب الاشراف، ٨٤/١١.

[٢٩] رواية الميداني ذكرت ان عمرة ولدت في عامة قبائل العرب. مجمع الامثال،٣٤٨/١؛ ورواية البغدادي اشارت بأن عمرة قد أكثرت من الولد في العرب. المحبر، ص٣٩٨.

[٣٠] الميداني، الامثال٣٤٨/١؛ البكري، فصل المقال، ص٥٠١.

[٣١] ابن الكلبي، نسب، ٣٥٤/١؛ جمهرة النسب، ١٨٢/٢؛ البلاذري، جمل من انساب،٨٤/١١؛ وصفه الميداني بطن ضخم من بطون العرب ولا اعرف هل خلط بينهم وبين بني خارجة بنو عمر بن تميم ام لا، مجمع الامثال، ص٣٤٨.

[٣٢] ابن منظور، لسان العرب، ٢٤٥/٢.

[٣٣] جمهرة النسب، ١٨٢/٢.

[٣٤] ابن الكلبي، جمهرة النسب، ١٩٤/١؛ نسب معد واليمن،٤٥٥/٢، ٤٤٠؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٢٢٨. منهم أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار وأسمه حبيب بن الحارث بن عائذ بن جذيمة، واخوها عمرو بن الحارث له صحبة.

[٣٥] عويجا لدى ابن الكلبي، نسب، ٣٥٤/١.

[٣٦] جمهرة النسب، ١٩٣/١؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص١٧٠. لم يذكر الحارث.

[٣٧] ابن الكلبي، جمهرة، ٢٥٨/١؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص١٨٢.

[٣٨] جمهرة انساب العرب، ص٣٦٧. سقط الاسم سهوا في هامش ٢عندما تحدث عنه العظم ونسب لجشم أولاد عامر بن لحيون خطأً ولا اعلم ان كانت النسخة القديمة للميداني التي اعتمد عليها السبب ام هو سهو المحقق. ابن الكلبي، جمهرة، ١٩٤/١.

[٣٩] مجمع، ٣٤٨/١؛ الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، (الكويت، ٢٠٠١)، ٣٩٠/٣٥.

[٤٠] نسب، ٦٤٨/٢، ٧٠١.

[٤١] المصدر نفسه، ٦٦٦/٢-٦٦٨.

[٤٢] الميداني، مجمع، ٣٤٨/١؛ اربعة عند ابن الكلبي ذكر منهم العنبر فقط، جمهرة، ١٩٤/١؛ وفي نسب معد ذكرهم ستة اولاد ابدل كعب ببهراء، ٧٠١/٢؛ خمسة عند ابن حزم لم يذكرهم، جمهرة انساب العرب، ص٣٦٧.

[٤٣] ابن الكلبي، نسب معد، ٧٠١/٢.

[٤٤] ابن الكلبي، جمهرة، ٣٦٣/١، ١٩٤؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص١٩٧.

[٤٥] ٧٠٢/٢.

[٤٦] ص٤ من البحث.

[٤٧] الضبي، امثال، ص٥٨؛ العسكري، جمهرة الامثال، ٥٢٩/١؛ الميداني، مجمع الامثال،٣٤٨/١.

[٤٨] الثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل(ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، (القاهرة، بد. ت)، ص٣١٢؛ اليوسي: الحسن بن مسعود بن محمد (ت: ١١٠هـ/٧٢٨م)، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي و محمد الأخضر، دار الثقافة، (الدار البيضاء، ١٩٨١)، ١٦٤/٣.

[٤٩] امثال، ص٥٩.

[٥٠] المحبر، ص١٣٥.

[٥١] ابن حبيب، المحبر، ص٣٩٨-٣٩٩؛ الميداني، مجمع الامثال، ٣٤٨/١؛ الحوفي، المرأة، ص٢٦٨.

[٥٢] الحوفي، المرأة، ص٢٦٨.

[٥٣] العسكري، جمهرة الامثال، ٥٢٩/١؛ الميداني، مجمع، ٣٤٨/١؛ الحوفي، المرأة، ص٢٦٨.

[٥٤] الحوفي، المرأة، ص٢٦٨.

[٥٥] المصدر نفسه.

[٥٦] ص٤ من البحث.